مناهج البحث فى علم اللغة

اتبع العلماء فى علاج المسائل اللغوية مناهج ساروا عليها ، احيانا متصلة بغيرها من العلوم ، واحيانا بمنهج خاص تقتضيه طبيعة المسألة التى تدرس واهم هذه المناهج ما يلى :

(أ) منهج الملاحظـــة والاستقراء :

اى مراقبة اللغة فى ظروفها الطبيعية اثناء قيامها بوظيفتها ، وتشترك علوم الطبيعة مع علوم اللغة فى هذا المنهج ، الذى اوصل علوم اللغة شأوا بعيدا . وآلة هذا المنهج الاذن والعقل ، وبه عرفنا : أن الفاعل مرفوع ، وان المفعول منصوب باستقراء الشواهد العديدة . ولابد من مراعاة اللغات الشقيقة فى المجموعة الواحدة حين ارادة العموم .

ويؤخذ على هذا المنهج ان الاذن احيانا تخدع ، ولا تملك من القياس ما تملكه الآلات القياسية الحديثة .

(ب) المنهج الآلى :

اى الاستعانة بالآلة فى مجال الصوتيات لأنها العنصر (الفيزيائى) الوحيد فى اللغة ، الذى يمكن للآلة التدخل فيه تسجيلا وقياسا ، بفضل التقدم التقنى : بواسطة (بوق) ، يتلقى الهواء من فم المتكلم ، وتوصيله الى طبلة تتأثر بضغط الهواء وذبذبته ، ثم اتصال قلم بالطبلة ويتحرك بحركة الطبلة ، فى (اسطوانة) مغلفة بورق ، تدور اثناء العمل ، امكن أن يرسم القلم الذبذبات المنتقلة اليه من الاذن . وبذلك امكن تمييز انواع الصوت ، وخصائصه ، وادراك نبراته ، وقياس شدته ومدته ...

اما اشعة (رونتجن) فى آلة التصوير الشعاعى ، فقد ساعدتنا على معرفة الاعضاء التى تشترك فى احداث الصوت اللغوى ، على هيئة هذه الاعضاء اثناء النطق وعلى مخرج الصوت .

وهذا المنهج خير من سابقه لدقة الآلة ، ولو أنه صناعى فى عمله وتركيبه .

(ج) المنهج التجريبى :

وهو يقوم على خلق الظروف المحيطة بالظاهرة ، حتى تحدث وتدرس من غير انتظار لحدوثها تلقائيا : كالعالم الطبيعى الذى يجمع (الاوكسجين) و (الهيدروجين) ويعطيهما شرارة كهربائية ليصنع منهما ماء .

ومعنى هذا أن المنهج التجريبى يقوم على تغيير الظروف العادية المحيطة بظاهرة لغوية ما ، أو على خلقها خلقا ، للتمكن من دراستها .

ولاشك أن هذا التغيير فى الظروف يخرج اللغة عن طبيعتها ، فاللغة ليست مثل العلوم الطبيعية ، ولذا كانت نتائج هذا المنهج قليلة جدا ، وعرضت الباحث للخطأ فى الأحكام :

فلقد حاول الأستاذ (فيرث) معرفة العلاقة بين الصوت والشكل فرسم خطا مغلقا فيه تحدبات كثيرة . ورسم خطا آخر مغلقا منكسرا فى شكل نجمى ووضع الى جانب الرسمين ، كلمتى : (أومبوبو وكيكيريكى) ، وهما كلمتان لا معنى لهما فى اية لغة . ثم طلب من طلبة مختلفى القوميات واللغات .. أن ينسبوا كل خط الى احدى الكلمتين ، فجاءته الاجابة بأن كلمة (أومبوبو) للرسم المحدب ، ولكلمة (كيكيريكى) الى الرسم النجمى ، مما جعل العلماء ينظرون الى هذا المنهج بعين الريبة ، كما يقول الدكتور تمام حسان فى « مناهج البحث فى اللغة » .

ويمكن عد المسألة الزنبورية ، وما يجرى على شاكلتها من افتراضات فى النحو العربى ، وما دار فيها بين سيبويه والكسائى فى مجلس البرامكة بحثا لغويا يجرى على المنهج التجريبى .

(د) المنهج المقارن :

وهو يقوم على الموازنة بين الظواهر اللغوية فى طائفة من الالسن ، للكشف عن أواصر القربى بينها ، كما فى علم اللغة المقارن ، أو للكشف عما بين الالسن من خصائص مشتركة تؤدى الى الكشف عن القوانين العامة للغة ، كما يجرى فى علم اللغة العام .

ويعتبر هذا المنهج ذا اهمية بالغة ولازمة فى كل الميادين اللغـوية التى سارت فيها الأبحاث اللغوية ، وهو يؤدى احسن النتائج وافضلها متى أمكن حسن الاستخدام ودقة التطبيق .

● على أن الشائع اليوم فى دراسة اللغة منهجان : الوصفى ، أو التاريخى :

١ ــ فالمنهج الوصفى او التقريرى :

يعنى بوصف المظاهر اللغوية بغير محاولة ايجاد العلل والأسباب . اى انه يقتصر على عرض الاستعمال اللغوى لدى مجموعة معينة ، فى زمن ومكان معين : فاعل فى العربية ــ مثلا مرفوع ، والمفعول منصوب ، ولانسأل عن علة اختلاف الحركة .

وقد أفاد المنهج الوصفى فى تعليم اللغات كثيرا لدى الغربيين .

٢ ــ والمنهج الفلسفى التاريخى :

يدرس تغييرات الاستعمال بين عصور متفاوتة ، لوصف اللغة المدروسة، ووضعها فى مكان زمنى ومكانى محدود : اى انه قائم على اشتمالات وصفية من عصور كثيرة ومتتابعة ، بحيث يمكن استخراج القانون اللغوى مـن المقارنات ، وتدوين الملاحظات المتشابهة او المختلفة ، وملاحظة السبب .

● على أن كلا المنهجين لا يختلفان فى الحقيقة : لأن كل وصف هو تاريخ ، والأيام دائبة ، واللغة متطورة ، والحوادث متلاحقة متواكبة .

* * *